



ازدحمت باقات الزهور وعبقت الأجواء بأحلى العطور... كثر عدد المستقبلين للطائرة القادمة من لندن، هناك مجموعة من فتيات متلهفات لعودة «حنين» ومعهن باقة ورد خلابة، وقد وقع على بطاقتها نيابة عن طلبة الجامعة وهيئتها التدريسية... ستنسى «حنين» ألامها فور وصولها واستقبالها بهذه الحرارة، وسينسى والد حنين تعبته وخسائره فور شعوره بأن الناس من حوله يشاركونه همومه، كان هذا كلام أم حنين قبل أن تلتفت إلى أيمن ابن أختها الذي بدا قلقا ومتلهفا لسماع أخبار القادمين، وكان يحدق بجميع حملة الورود خشية أن يكون من بينهم شاب تجرأ على القدوم لاستقبال حنين فأيمن يخطط لبناء عش الغد ويطمح بأن تكون «حنين» القادمة مع الغروب هي التي ستسج له فجر الغد القادم.

بقلم: أم حسان الحلو
الأردن

حنين

٩٦

من أحاديثها الجانبية.. فطال الانتظار ورأى أنه من المناسب أن يدعو جميع المستقبلين على حفل عشاء في اليوم التالي.

استقل أيمن سيارته وجواره أبو حنين، وقد ركبت في الخلف أم حنين والشابة حنين.

بدأ والد حنين بالحديث عن رحلتهم، وحمد الله الذي وفقه للذهاب لعلاج ابنته في الوقت المناسب، خاصة بعد خطأ تلك الطبية.. فقاطعت والدته حنين قائلة:

* الدكتورة المغرورة «عالية» قاتلتها الله! كم هي حققاء كادت أن تؤدي بحياة ابنتنا.

فعلقت حنين قائلة:

* قولي سامحها الله يا أمي ونجانا من شرورها وشرور أمثالها.

طرب «أيمن» لهذا التعليق العميق المذهب، وعلق قائلاً:

* ربما سحبت الثقة من كثير من الأطباء منذ وفاة والدتي رحمها الله، أقصد منذ أن ثبت لي أن الطب تجارة.

سارعت أم حنين لاستقبال ابنتها وزوجها، ومشيت حنين بين والديها مزهوة بهما.. سعادتها تشرق من عينيها الذابلتين.

سلم المهنئون على «حنين» وحمدوا الله على سلامتها، وتقدمت زميلاتهن الجامعيات بباقات الزهور وعبارات التهنية بالسلامة والمباركة بالتخرج والتفوق المشرف.

كان أيمن ذاك الشاب الوسيم يرقب الأحداث وهو بعيد الجسد قريب الروح والقلب، سار أمام والد حنين حاملاً حقائب السفر إلى سيارته فالتقت نظراته بنظرات «حنين» فاغتنم الفرصة وقال بسرعة:

* حمدا لله على سلامتك.

فأجابته بصوت هادئ رزين وابتسامتها تزين محياها الوضيء:

* سلمك الله من كل مكروه.

انتظر أيمن بجوار سيارة الأنسة «حنين» ريثما تنتهي

فأجاب والد حنين.

«الحقيقة يا بني أنا لا أفهم في الطب كثيرا، لكني كنت ألاحظ حرص الأطباء هناك وتعبهم ومتابعتهم لمريضهم وقلقهم عليه فأعجب لذلك، تصور قبل أن أغادر جهاز لي الطبيب المسؤول ملف «حنين» الخاص وجعل في مقدمته أوراقا خاصة لإسعاف «حنين» فيما لو أرهقت من السفر أو لأي أسباب أخرى وقال:

«لقد فصلت هذه التعليمات وبسطتها حتى يمكن لأي ممارس لمهنة الطب أن يفهمها وينفذها بسرعة.. فأجاب أيمن:

«أمانة علمية وحرص إنساني يغبط عليه هذا الطبيب، وكان «أيمن» يتوقف أحيانا ليلتقط بعض عبارات «حنين» الهامسة لأمرها:

«كم أتعبت والدي، كان يسهر الليالي بجواري لم أشعر بمحبة والدي العميقة لي مثل شعوري هذه الأيام، لا يمكنك أن تتصور معاناته من أجلي وحرصه الشديد على النتائج الإيجابية وقلقه العظيم بسبب بعض النكسات العابرة، لقد أصبح مقرئا للقرآن، كان يقرأ لي آيات الشفاء صباحا ومساء.

ابتسمت أم حنين وقالت:

«منذ أن رأى وجهك القمري في دنياء وهو يغدق عليك حبا عظيما، إنه حريص جدا عليك وعلى مستقبلك..

ونظرت عبر النافذة، وبدأت تحدث نفسها: مستقبلك يا غاليتي، مستقبلك أيتها الشابة المثقفة، غدا ستخرجين من عالمنا إلى عالم آخر، وهذه سنة الحياة، تقدم ليدك الكثير يا حنين، ولم أرض لك سوى أيمن، أيمن هذا الشاب المتعلم الملتزم الخلق المثقف، ابن أختي الحبيبة رحمها الله، يعلم الله كم أحب وأحترم هذا الشاب، والدك كذلك، لا أدري لماذا يتعثر أمر زواجهما، لقد ناقشت الأمر مرارا وتكرارا مع حنين والداهما فكنا نتفق على أننا يجب أن نصلي صلاة استخارة، فنصليها نحن الثلاثة، ونخرج بنتيجة غير مطمئنة، قلوبنا وعقولنا وتدبيرنا تريد أيمن زوجا لحنين، إنما هذا الضيق الذي ينتابنا هو المشكلة.

نظر أيمن لخالته الشاردة وقال مداعبا:

«نحن هنا، لقد وصلنا، حمدا لله على سلامتكم، أستودعكم الله.

استرق أيمن نظرات خاطفة من طيف حنين، وعاد لبيته يفكر بهذه الفتاة العظيمة وسرها الغامض، كلما حاول الاقتراب منها حالت بينه وبينها الظروف، إنه يحلم ببيت هادئ دافئ وزوجة صالحة وقورة، وصغار يغردون بأناشيد الفرح ويطربون لسماع آيات الله.

يتخيل بيتا أرقى من كل البيوت التي يراها، وزوجة أروع من جميع الزوجات، وأما أوعى من كل الأمهات، فقال لنفسه: «لا يوجد في هذه الدنيا سوى واحدة اختارها عقلي وأحبها قلبي، إنها هي، وتوجه إلى بارئه قائلا: اللهم

يسر أمري واغفر جهلي في لطيف تدبيرك، ثم عاد لنفسه يحدثها:

«غدا... سوف أعد من أجل عينيها عشاء فاخرا، عشاء تمهيدا لوليمة العرس القادم إن شاء الله.

يبدو أن الغد بعيد، فحاول أيمن تعجيل عقارب الساعة فاستجابت لأشواقه..

أشرف على تحضير لوازم الحفل، مأكولات، أدوات، مزهريات... وأكاليل ورود.

قامت حنين من نومها تستقبل يومها، وهي شاحبة متثاقلة، انتقل الخوف والتوجس من قلب أم حنين إلى أطرافها فبدت وجلة مضطربة، حاولت أن تصرف شواغل فكرها وتشتغل بفرح يومها الموعد، لكن حالة حنين تزداد سوءا، فقررت والدها نقلها إلى المستشفى المجاور حاملا النصائح المدونة والتقارير الواضحة.

ضاق صدر أبي حنين عندما استقبلته طبيبة الطوارئ «عالية» وكأنه أحد الآباء المغفلين المهملين:

«قلت لكم ألف مرة إن تأخركم ليس من صالح مريضكم.. فقدم لها الأوراق قائلا:

«أرجو مطالعة هذه الأوراق لو سمحت ومعرفة الحالة بالضبط، فأجابت بصوت مرتفع:

«نحن نستقبل حالات ليل نهار ونعرف كل التوصيات، سوف أقرأ هذه الأوراق بعد الانتهاء من عملي... فقاطعتها قائلا:

«ولكن يجب أن... فأجابته بحدة:

«أخبرني من الطبيب هنا؟ أنا أم أنت؟ دعني وشأني أرجوك.

وبدأت تعد الإسعافات وهي في غاية التوتر، وأضاءت الجهاز الذي حفظه والد حنين عن ظهر قلب، إنه جهاز رسم القلب.

بدأ الجهاز يرسم، ووالد حنين ينظر. إحساسه الأبوي يهتف به أن حالة المريضة تتدهور بسرعة، خطأ جسيم تمارسه الطبيبة لا يعرف كنهه، المؤشر بدأ يتباطأ... رويدا رويدا، وقلب الوالد يهبط مع المؤشر، وكأنما يقيس الجهاز نبضه هو...

نظرت الطبيبة إلى الساعة وقالت: الآن..

أحس والد حنين ببريق الأمل فقال: ماذا الآن؟

قالت وهي تستعد للخروج: الآن انتهى وقت دوامي، أرجوك اترك كل شيء كما هو، سوف يأتي المناوب القادم بعد لحظات، نظر والد حنين إلى العروس الشابة المسجاة، كاد يفقد فيها بروحه ويرفعها بين يديه هاربا بها من هذا الإهمال واللامبالاة..

ارتخت أطراف حنين، فشعر والدها أن قدميه قد شلتا عندما أبصرت عيناه توقف مؤشر نبضات القلب...

وفي تلك الليلة...

وفي أيمن بوعده.. فقدم عشاء لأهل حنين المتوفاة، ونثر الزهور فوق قبرها.